العنف الرمزي في المجتمع الجزائري

بوصبيعات حياة

تحت تأطير د. دردیش احمد

جامعة البليد2

*** ملخص**

يهدف هذا المقال إلى التعرف على أهم خصائص العنف الرمزي في المجتمع الجزائري، والكشف عن طبيعته ، من خلال تحديد أهم أشكاله وآلياته ومؤسساته في المجتمع الجزائري.

يتدفق العنف الرمزي بفعالياته الرمزية على مدى سنوات طويلة ومتعاقبة فهو عملية مستمرة تتم عبر وسائل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتلقين المعرفة، كما نجد تجلياته في التراث الشعبي من أغان فولكلورية وأمثال وحكايات ترويها النساء لأطفالهن، وفي الأدب والتلفزيون وذلك بالمتابعة اليومية لما يبث من خلاله من برامج وأخبار ومشاهدات مرغوبة أوغير مرغوبة.

Abstract

This article aims to identify the most important characteristics of symbolic violence in the Algerian society, and the disclosure of its nature, by selecting its most important forms, mechanisms and institutions in the Algerian society.

Symbolic violence is flowing over many years it is a successive and a continuous process conducted by means of socializing and knowledge initiating institutions. As we find its manifestations in people's heritage of folk songs, proverbs and tales told by women to their children, and in literature, and so the daily follow-up of what is broadcast through programs and news with all desirable and undesirable shows on television.

Keywords: violence, symbolic violence, sexual harassment, cultural violence, parental authority words.

1- مقدمة

عرف المجتمع الجزائري على مر الأزمنة التاريخية المتعاقبة عنفا متعدد الجوانب حيث تعرض للاحتلال الفرنسي لمرحلة طويلة (1830-1954) استعمل فيها الاستعمار كل أساليب القمع والقتل الجماعي، والتهميش بأنواعه للمواطنين الجزائريين، ثم تلتها مرحلة الثورة التحريرية (1954-1962)، إلا أن مقاومة الجزائريين للاستعمار وتطبيق كل أساليب العنف بأشكاله ضد الإدارة الفرنسية يعتبر مشروعا للدفاع عن الذات والوطن.

لقد عانى المجتمع الجزائري من مظاهر عديدة من العنف، وامتدت جذوره إلى يومنا هذا بأشكال جديدة تتماشى مع العصر، غير أن التطور العلمي والتكنولوجي أعطى صبغة جديدة لتكنولوجيا العنف من خلال استعمال أنواع الأسلحة الفتاكة، بالإضافة إلى تشكيل منظمات عالمية للإرهاب وما تحدثه من أعمال العنف في المجتمع المعاصر بالإضافة إلى الصراع الثقافي، ووسائل الإعلام التي لعبت دورا كبيرا في توسيع ظاهرة العنف، من خلال البث لبرامجها المختلفة منها الإيجابية ومنها السلبية والتي تدمر المجتمع.

يعتبر العنف الرمزي من أخطر أنواع العنف حيث عم مؤسسات التنشئة، واتخذ طابعا جديدا في القرن العشرين تحت ستار الضرورة الثقافية والاجتماعية، لما له من أهمية خاصة في ظل التحولات الجذرية، حيث برز جدال نظري حول طبيعته ودوره في الحياة الاجتماعية وطبيعة تعقده، فهو يدرس من خلال كل مظاهره في علم الاجتماع، علم النفس، وغيرها من العلوم الأخرى لهذا تشير الفرضية: إلى أن ظاهرة العنف الرمزي بمثابة الخاصية المتجذرة في بناء الشخصية الجزائرية واعتباره أحد رواسب الأصول الثقافية. فماذا نقصد بالعنف الرمزي، وما هي أهم أشكاله الذي يعرفها المجتمع الجزائري؟

سنحاول من خلال هذه الورقة الإجابة عن هذا التساؤل، ساعيين في ذلك إلى تحقيق هدف رئيسي متمثل في التعرف على أهم خصائص العنف الرمزي في المجتمع الجزائري، وهذا من خلال ما يلي:

- إيضاح طبيعة العنف الرمزي أو ما يعرف بالعنف الثقافي، من خلال تحديد أهم أشكاله ومؤسساته في المجتمع الجزائري.
- التعرف على ضحايا العنف الرمزي وآلياته.

2- تعاريف حول العنف الرمزي

لقد ظهر التعريف الأول للعنف الرمزي في كتاب إعادة الإنتاج **لكل من "بيير بورديو" و"جان كلود باسرون"** عام 1970، ويعرف بأنه "كل سلطة عنف رمزي، أي كل سلطة تطال

فرض دلالات وتطال فرضها على أنها شرعية أن تواري علاقات القوة التي هي منها مقام الأس لقوتها، إنما تزيد إلى علاقات القوة تلك، أي تحديدا قوتها الرمزية"(بيار بورديو، جان كلود باسرون، 2007، ص102). وهذا يعني أن العنف الرمزي يرتدي حلة سلطة معنوية خفية تفرض نظاما من الأفكار والدلالات والمعاني.

تعرفه **"جميلة الطاربشي"** بأنه عنف بنيوي لا ينبع من الأفراد بل من بنى اجتماعية وقانونية يتبناها الأفراد والمجموعات، وهو عنف هادئ يعمل في صمت، ولكنه يعمل باستمرار، فهو كالطاحونة التي تسحق الأفراد وتحد من آفاق حريتهم. كما انه قد يكون فعلا ليس اجتماعيا منافيا للأخلاق السائدة بل قد يكون فعلا مغرقا في القيم الاجتماعية والانسجام مع الأخلاق السائدة، إنه عنف يتم باسم مبادئ رمزية

كما يعرفه **"مصطفى الحجازي"** بأنه نقيض السلوك الجانح المادي، فهو ليس مادية الفعل، ولكن دلالته التعبيرية توحي لدلالة باطنية، في بنية مجتمع ما يتراكم فيها عدوانية كامنة في شبكة العلاقات الاجتماعية قابلة للانفجار في ظروف معينة **(**مصطفى الحجازي، 2005، ص.174**).** ويعني بقوله أنه إذا كان هناك العنف المادي واضحا صريحا في المجتمعات، وأكثر تكرارا فإن ذلك لا يمنع من استفحال الانحراف غير المادي الذي يمارس بطريقة ذكية.

كما يعرفه **"أندري لالاند"** بأنه عبارة عن احد الجزئيات الهامة للعنف، إنه عبارة عن«فعل رمزي، أو كلمة عنيفة رمزية»ـ وهذا ما يدخل في نطاق العنف الرمزي ـ ، فأول سلوك عنيف هو الذي يبتدئ بالكلام ثم ينتهي بالفعل"**(** عبد المالك أشهبون**).**

ويتجلى العنف الرمزي عند **"إسماعيل حلمي"** بحسب مقاصد الفاعل بمظاهر مختلفة تقوم في الأساس على استهداف الآخر والإساءة إليه بصفة غير مباشرة **(**إسماعيل حلمي إجلال، ص10**)**، كالتهديد اللفظي، السخرية، الإهانة والصمت.

والعنف الرمزي كما يرى **"سيمون وايل" "Simone Weil"** هو الفعل الذي يقوم به شخص ما لإخضاع الآخر وإفنائه، ولذا فإن ممارسة العنف حتى الحد الأقصى، تجعل من الإنسان مجرد شيء بالمعنى الدقيق للكلمة، ومثل هذا العنف القاتل يأخذ صيغا متنوعة فيما يتعلق بإجراءاته وأدواته ونتائجه **(**سعد جلال، 1984، ص 29**).**

يتمحور العنف الرمزي في المجتمع الجزائري حول الاعتداءات الكلامية والإبعاد الخبيث للآخر، والـنفي الماكر والمهـذب له، والـتهـديد والتشهير. هذه الأساليب هي أكثر إيلاماً من أقسى العقوبات الجسدية، سواء في العمل أو في العائلة الجزائرية، وهذه حقيقة لا يمكن إخفاءها. كما

يمكننا أن نعرفه بأنه عنفٌ خفيّ مُضمر، ومُستبطن ومُغلق، ويسعه تالياً، أن يُقيم في السلوكيات والعلاقات الاجتماعية الأكثر سيولة واتصافاً بالعادية،

من خلال هذه التعاريف يمكن القول أن العنف الرمزي هو نوع من التصرفات والأقوال والأفعال والحركات والكتابات، التي من شأنها أن تلحق الأذى بالاتزان النفسي أو الجسدي لشخص ما، وأن تعرّض عمله وحياته للخطر.

3- خصائص العنف الرمزي

يتميز العنف الرمزي بعدة خصائص تميزه عن الأنواع الأخرى من العنف، إذ نذكر منها:

- يتميز العنف الرمزي في ثقافتنا بقدرته على التخفي والانسياب في العقل؛
- ممارسات قيمية ووجدانية وأخلاقية وثقافية تعتمد الرموز كأدوات في السيطرة والهيمنة، مثل: اللغة، الصورة، الإشارات، الدلالات، المعاني، وكثيرا ما يتجلى هذا العنف في ظلال ممارسة رمزية أخلاقية ضد ضحاياه؛
- يمثل عملية تطبيع الآخر على الشعور بالدونية، وضعف الإحساس بالقيمة الذاتية وازدراء الأنا؛
- ينطلق من مبدأ تواطؤ أولئك الذين يأبون الاعتراف بأنهم يخضعون له؛
- يمكن تلمسه في وضعية الهيمنة التي يمارسها أصحاب النفوذ على أتباعهم بصورة مقنّعة وخادعة، إذ يقومون بفرض مرجعياتهم الأخلاقية والفكرية على الآخرين من أتباعهم؛
- إنها طريقة منظمة وبنائية ذات فعالية متكاملة تحت غطاء التخفي والاختفاء، أي وراء أقنعة المألوف العادي وأنظمة التقاليد الجزائرية والمقولات والخطابات المنغرسة في عقول الأفراد وضمائرهم؛
- يمكن أن يحقق العنف الرمزي نتائج أحسن قياسا إلى ما يحققه العنف السياسي والبوليسي (Pierre Bourdieus, 1992, p.123)؛
- يرتبط العنف الرمزي بالسلطة والهيمنة والحقل المجتمعي، بمعنى أن حتى الدولة الجزائرية تمارسه، عبر مجموعة من المؤسسات الرسمية والشرعية كالمدارس، الإعلام، الدين، التربية، الفن، ويعني هذا أن المجتمع الحاكم والمسيطر يمارس عنفا رمزيا ضد الأفراد.

4- أشكال العنف الرمزي في المجتمع الجزائري

إن العنف الرمزي في المجتمع الجزائري يأخذ صورة سلطة تفرض نفسها على نسق من الأفراد، كما أنه يأخذ صورته المشروعة بقدرته على إخفاء مقاصده بين أفراد المجتمع وإخفاء علاقات القوة، فيتغلغل تأثيره في وعي ضحاياه بصورة عفوية دون إحساس منهم باكرا. ويعني ذلك أن

للعنف الرمزي أشكال ومظاهر، يمكن أن تكون خفية في معظم الأحيان، فلا يفهمها إلا الضحية، كما يمكن أن يكون ذو شكل وصورة واضحة تمارس بشكل يومي بين نفس الأفراد، حيث يتم من خلال عمل ما أو الامتناع عن قيام بعمل معين وهذا وفق مقاييس التعامل داخل مجتمعنا ومعرفة علمية بالضرر النفسي، والوجداني، والذهني ونذكر منها:

- رفض وعدم قبول فرد ما مثل الإهانة، التخويف، التهديد، العزلة، الاستغلال، الصراخ، سلوكيات شاذة تلاعبيه وغير واضحة، تنتشر في العلاقات الجماعية الحياتية اليومية، كذلك معاملة الضحية كمتهم (كلص – كشاذ نفسيا – كمجنون...)، ويمكن أن نضيف إلى ذلك، محاولة فرض الآراء حول بعضنا البعض بقوة واعتبار آراء البعض فينا ناقصة وغير مكتملة النضوج.

- بالإضافة إلى أن العنف الرمزي يمس الجانب التواصلي فيأخذ شكل اللاَحوار وهذا الشكل يزداد انتشارا يوما بعد يوم في الأسرة الجزائرية خاصة بين الأقارب، وبالتالي يمكن أن نقول أنه عنف تواصلي يعني أن الضحية داخل الأسرة والمجتمع الجزائري ككل فيه لا يستطيع التعبير عن أفكاره وأطروحاته وتصوراته حتى وإن أراد طلب السماح عن خطأ ما، مما يجعل من الصعب عليه تقبل طرف طرفا آخر، وهذا ما يزيد في تفشي هذا السلوك.

ـ البصق، وهذا التصرف كثيرا ما نلاحظه بين شبابنا وبين طلاب الجامعة وبين تلاميذ مدارسنا، وحتى داخل البيوت، ولا يوجد ردع لهذا التصرف، باعتباره فعلا لا ضرر ينتج عنه جسديا، بل فعلا رمزيا يعبر عن الغضب فقط، هذا ما نستوعبه كثقافة لدينا، لكن هذا السلوك الذي يرمز إلى التقليل من قيمة وتقدير الشخص الأخر له ضررا نفسيا على هذا الأخير وهو أكبر بكثير من الضرر الجسدي.

- التحرش الجنسي: كثيرة هي التعريفات التي تناولت التحرش الجنسي لكن ما يهمنا طبيعة وشكل هذا التحرش الجنسي الذي يتعرض له الضحية من خلال العنف الرمزي داخل الوسط الاجتماعي الجزائري، حيث نجد هذا السلوك الشاذ لم يترك مكانا إلا وتغلغل فيه، وذلك في مؤسسات التنشئة الاجتماعية، داخل الأسرة وفي المدرسة، بين جماعة الرفاق، في وسائل الإعلام، وحتى المساجد حيث أصبحت بعض الفتيات يتخذنه كذريعة للخروج في الليل خاصة في شهر رمضان المعظم، وذلك في وقت صلاة التراويح، وأصبح التحرش المتعارف بين بعض الشباب كلمة "أسس"، للالتفاتة إليه وإتباعه إلى المكان الذي يشير إليه بتحريك رأسه، فتتبعه دون الدخول إلى الصلاة، أما إذا كان الرفض من قبل الفتاة فيكمل كلمة "أستغفر الله" ويرددها. إذ نجد مثلا مضايقة المرأة والتحرش بها ومحاولة الرجل ربط علاقات محرمة والخلوة بها بالتحدث معها واستدراجها وطلبه مرافقتها له حيث شاء إما بسيارته أو إلى بيته بأساليب وكلام معسول، وليس بالضرورة أن

يتزوج بها، وهذا ما انتشر في وسطنا بشكل رهيب حيث أصبحت إنشاء العلاقات مع الرجل المتزوج أمرا عاديا بالنسبة لبعض الفتيات، وهذا ما أملته علينا الثقافة الغربية من خلال بث مسلسلات وأفلام عبر وسائل الإعلام لا تتماشى وتقاليدنا القديمة، إلا أننا تجرعناها ووصل الحد بفتياتنا إلى تقليدها فأصبحت ممارسات عادية، وثقافة جديدة نتماشى بها، إما بالتستر أو باللامبالاة حتى أصبح معظمنا راضي بشكل أو بأخر عن سلوك مرفوض وشاذ.

كما نجد شكل أخر من هذا التحرش وهو كشف الأعضاء التناسلية أمام الضحية من أحد المعتدين، وقد أثبتت بعض الدراسات الجزائرية التي أقيمت حول العنف بين التلاميذ في المدرسة الجزائرية، أن هذا السلوك يزداد انتشارا وتوسعا خاصة في الطور الابتدائي والمتوسطي.

- كذلك نجد شريحة المطلقات الأكثر تعرضا لهذا العنف الرمزي الذي يحمل شكل التحرش من خلال تعريضها لصور جنسية أو أفلام خليعة، من اجل الابتزاز، وكذا إطلاق التعليقات المشينة والتلميحات الجسدية والإلحاح في طلب لقاء وطرح أسئلة حسية، ونظرات موحية إلى ذلك، ثم تتصاعد حتى تصل إلى اللمس والتحسس والقرص، سواء كان في أماكن العمل أو في مناسبة ما داخل الأسرة(الأفراح، الأعياد....). وهو يعد من ألوان إهانة المرأة وإذلالها وهو صورة من صور الأذى.

أما اللغة التي يتخذها العنف الرمزي فتتمثل في صور نذكر منها:

- كلام بذيء اتجاه الضحية، أو نبز بالألقاب.

- التبخيس والازدراء وتهميش الهوية: إنه أمر صادم ومدمر من طرف أفراد الأسرة، كما يمثل عملية اغتصاب لقيمة إنسانية ضرورية لتوازن الأسرة القائمة على مبدأ المساواة. فالتبخيس والتهميش يتم عبر الإهانات والتحقير والتصغير والتشهير والتمييز، وهي أفعال تمييزية تنتقص من قيمة الفرد وتدمر مرجعيات هويته الإنسانية **(**سعد جلال، ص 29**).**

- إن الألفاظ المستعملة كالسب والشتم تشكل قاموس رمزي، وتتصدرها عبارة نعت المطلقة الطرف الثاني في وضعية العنف الرمزي " البغي" أو "الهجالة" والهجالة حسب مضمون الأمثال الشعبية هي" المرأة المسئولة عن طلاقها، مشكوك في أخلاقها، فهي غير مؤتمنة ولا تستطيع العيش دون حماية ذكورية، لأنها فاسدة وعاهرة" **(**فتيحة أحمد بورونية، 2009، ص65**)**، فيبرز اتهام المرأة وترمز لها بالفساد كلما وصلت وضعية التوتر تأججها، وأدت إلى انفلات اللسان ليعبر عن نظرة راسخة للمرأة تختزلها في موضوع للمتعة الجنسية ومصدر" للفتنة والخطيئة".

إن هذا الاتهام الذي يتكرر في العديد من الوضعيات يعكس أيضا هاجس خوف يلازم الأسرة الجزائرية حول شرفها ويشكل مؤشرا واضحا عن الشروع في العنف.

كذلك من بين الألفاظ الرمزية المنتشرة بيننا، منها""كلب"،"طاروس،"حمار"....وغيرها من العبارات التي أصبحت متعارف عليها ومتعامل بها بيننا.

وخلاصة قولنا نؤكد على أن العنف الرمزي، يحمل معاني وألفاظ ولغة وصمت، كلها دلالات من شانها أن تنقص من قيمة الأخر، فلغة العنف الرمزي وألفاظه يحمل كناية ودلالة تعبر عما يقصده الطرف المعتدي على الضحية ويفهم بينهما فهما واضحا، كما تشير المعاني والإشارات والإيماءات إلى ذلك القصد، تلك الألفاظ والمعاني المتبادلة يمكن أن نقول عنها قاموسا شعبيا جزائريا.

5- آليات العنف الرمزي

يتدفق العنف الرمزي بفعالياته الرمزية على مدى سنوات طويلة ومتعاقبة فهو عملية مستمرة تتم عبر وسائل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتلقين المعرفة، كما نجد تجلياته في التراث الشعبي من أغان فولكلورية وأمثال وحكايات ترويها النساء لأطفالهن، وفي الأدب والتلفزيون وذلك بالمتابعة اليومية لما يبث من خلاله من برامج وأخبار ومشاهدات مرغوب فيها وأخرى غير مرغوب فيه.

ومن غير المبالغ فيه أن نقول بأن التلفزيون يساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تربيتنا لأولادنا وإعدادهم للمستقبل القادم وعلى هذا الصعيد أود أن أشير إلى سلسلة من الآليات التي تثبت أن التلفزيون يمارس نوعاً من "العنف الرمزي" المفسد والمؤذي.

وأبرز مظاهر هذا العنف أن التلفزيون يملأ أوقات الناس بالأشياء غير الهامة وغير الضرورية وهو يستهلك زمنهم في قول أشياء تافهة تخفي في الحقيقة بالقدر نفسه الأشياء الثمينة، وبهذا المعني فان التلفزيون يسهم في تدمير الوعي حينما ينشر وعياً زائفاً أو يحجب المعلومات عبر لعبة اسمها "لعبة المنع بواسطة العرض"**(**أسماء جميل رشيد، 2012**)**. تبدو الأشياء أقل وضوحاً في التلفزيون أثناء عرضها وهنا وجه من وجوه التناقض: أشياء يتم إخفاؤها عن طريق عرضها أو "بواسطة عرض شئ آخر غير ذلك الذي يجب عرضه". ويتمتع هذا النوع من العنف بالقوة والقدرة التي تفوق أحيانا أعمال القوة والتعسف الصريحة بسبب قدرته على التعبئة.

ومن الوهم الاعتقاد بأن العنف الرمزي يمكن قهره عن طريق الوعي والإرادة لأن أساس العنف لا يكمن في الضمائر المخدوعة أو في تزيف الوعي والتي يكفي تنويرها للتخلص من الهيمنة، بل في استعدادات لدى الضحايا مصممة على بنى الهيمنة، إذ يؤكد بورديو أن كل العلاقات بما فيها وأهمها" القرابة مصممة لخدمة قبول المرأة والإذعان لتصورات الذكر عنها حيث تنفذ هذه الأفكار في استعدادات الجسد المطبع اجتماعيا وتعيش في منطق العاطفة أو في منطق الواجب"**(**

Miller, Hemenway,& Wecher, H,1999, p7-13)، فمثلا التعامل مع المرأة في مؤسسة الزواج على أنها شيء أي متاع رمزي بحسب تعبيره هو مدخل لتقبلها بنى الهيمنة، وتستطيع هذه الأفكار التي صاغها الذكر عن المرأة البقاء طويلا حتى عند اختفاء شروطها الاجتماعية التي أنتجتها، وتبقى إعادة إنتاجها من جيل لأخر، عندما تختفي الإكراهات الخارجية التي تقصي المرأة عن المجال العام مثلا ويتغير وضع المرأة بالتعليم والعمل. فإن التخلص من العنف الرمزي لا يتم من خلال قطع علاقة التواطؤ التي يهبها الضحايا للمهيمن وإنما من خلال التحول الجذري في الشروط الاجتماعية التي تنتج الاستعدادات التي تحمل المهيمن عليهم على تبني وجهة نظر المهيمنين أنفسهم عندما ينظرون إلى ذواتهم.

أما فيما يخص ضحايا العنف الرمزي فتتمثل عامة في الضحية السلبية Passive victim والضحية الاستفزازية.Provocative victim:

وتتسم **الضحية السلبية**: بالقلق، وعدم الأمان، ولا ترتكب شيئاً يؤدي إلي إثارة الهجوم، كما أنها لا تدافع عن نفسها. كما أن ضحية تتميز بالعزلة وعدم وجود أصدقاء لها وهي ليست عدوانية.

أما **الضحية الاستفزازية:** فتتميز بأنها ذات مزاج حامٍ hot-tempered، ومضطربة، ولديها رغبة في الانتقام عندما تتعرض للهجوم.**(** إبراهيم الحيدري، 2003، ص145**).**

وما يهمنا في هذا أن الضحية في المجتمع الجزائري صنعت نفسها لا لأن تكون ضحية وذلك بقبول ما يمارس عليها من أشكال العنف الرمزي، وبالتالي فقد تكون سلبية، معزولة عن باقي أفراد العائلة متخذة الصمت وسيلة لعدم الرضا عن نفسها، وتأنيب الضمير، وقد تكون استفزازية تريد أن تنتقم للوضع الذي آلت إليه وهذا ما نجده في بعض الأفراد.

6- نظام الثقافة الأبوية في المجتمع الجزائري

تعرف الثقافة الأبوية بأنها:" الثقافة التي تستند فيها المسؤوليات الأساسية للأب لتحقيق رعاية ورفاهية الأسرة، والكلمة اليونانية PATERIARCH"هو الرجل ذو التأثير العظيم على الأسرة والمجتمع".

كما يعرف النظام الأبوي بأنه "بنية اجتماعية سياسية وسيكولوجية ناتجة عن شروط حضارية عبر سلسلة من المراحل التاريخية، قائمة على تنظيم اقتصادي معين، كما تقوم على أساس ثنائية الخضوع والتسلط وهيمنة الذكر على الأنثى"**(**أريج زهران البدراوي، 2014**)**. ويقوم هذا النظام على مبدأ الاستمرارية ومقاومة التغيير في إطار المحافظة على القيم والأعراف والامتثال لها، فالمرأة في الأسرة الأبوية أو المجتمع الأبوي هي ضحية هذا النظام الذي قنن أعرافا وتقاليد

جعلتها أدنى من الرجل، وهو وضع له تجسيدات متعددة، تجلى في الاضطهاد النوعي والعرفي والقانوني. فالاضطهاد النوعي يعني شيوع تفوق الرجل على المرأة و سيادته عليها.

أما الاضطهاد العرفي يظهر بدوره في سلطة الذكر على الأنثى في المجتمع الجزائري والسلطة، حيث يصعب عليها الدفاع عن نفسها، فالغرم دائما يقع عليها، "فهي المذنبة دائما". كما لا ننسى دور الأمثال الشعبية في ممارسة العنف الرمزي والاضطهاد، ولا تختلف الأغاني الحديثة المعاصرة التي تغازل المرأة بشكل مرعب ورهيب، فلم يعد غريبا عنا عندما نسمع شابا يغازل الفتاة وأنوثتها وهو يصفها بـ:" البومبة" (القنبلة) لأنه لا يملك في قاموسه ما يمكنه من صناعة تلك الهالة من الإعجاب في مخيلته.

وإذا عدنا للاضطهاد القانوني فهو منبثق من الاضطهاد العرفي، المتواجد في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية بطريقة سلسة، أليس زواج البنت القاصر عنفا؟ أليس إرغامها بالزواج على من لا تحب عنفا؟

معايير الثقافة الأبوية: تتسم الثقافة الأبوية بسلطوية الضمير الجمعي، وإذا ارتكزنا على المعايير التي تشكل الهيكل العام للثقافة الأبوية فستتضح لنا سماتها ومن أهم هذه المعايير هي:

المعيار البيولوجي: إن التمييز البيولوجي النوعي بين الذكور والإناث هو المعيار الأكثر وضوحا في تحديد الثقافة الأبوية، ويؤيد هذا الرأي النظرية الراديكالية الداعية إلى المساواة، إذ ترى أن سيطرة وتحكم الذكور، وما يتمتعون به من امتيازات هو أساس كافة العلاقات الاجتماعية واللامساواة**(**المختار الهراس وإدريس بن سعيد، 1996، ص57**)** وأكثر العلاقات أهمية في أي مجتمع توجد في النظام الأبوي، وتأتي كل العلاقات الأخرى مثل الطبقة في المرتبة الثانية.

يستند هذا المعيار على السوسيوبيولوجيا التي تنطلق من كون العدوانية الذكورية الموروثة هي التي تمنح الأسس البيولوجية لهيمنة الذكور على الإناث، وللتراتبية والتنافسية بين الرجال أيضا للحرب. على أساس ذلك، فإن "ستيفن كولدبيرك" (Steven Goldberg)، عالم الاجتماع الأمريكي، حاول أن يوضح أن الجانب الهرموني هو السبب في هيمنة الرجل. فالهرمونات الذكرية "التستاسترون" (Testostérones) هي المسؤولة في نظره عن نزعة الهيمنة والعنف لدى الرجل، وهذه النزعة هي الدافعة للرجل كي ينجح في أي ميدان وجد فيه**(**فاطمة المرنيسي،1996، ص125.**)**. ويستدل على ذلك، بكون الرجال الفاقدين لهذه الهرمونات الذكرية، يعيشون سلوكا شبيهة بسلوكيات المرأة. من وجهة نظري في هذا المعطى الغريزي للهيمنة عند الرجل هو المسئول عن تفوق الرجل في ميادين متعددة، سواء العلمية أو الاجتماعية أو السياسية الخ. ورغم تساوي المرأة في المجتمع الجزائري مع ما وصل إليه الرجل إلا أننا

نضيف وجود عامل آخر يزيد من رغبة الرجل في الهيمنة، وهو الجانب البيولوجي الفيزيائي لبنية الذكر الجسدية المتسمة بالقوة.

المعايير الاجتماعية والثقافية: من منطلق اجتماعي ثقافي، فإن العنف الرمزي يرجع بالأساس إلى النظام الأبوي الذي يقوم على هيمنة الذكر الممثل في صورة الأب، رب الأسرة، الواسع النفوذ والسلطة من جهة، وعلى إخضاع المرأة الممثلة في صورة الأم وعلى إجبار الطفل على الطاعة واستدماج قيم البالغين والرهبة الموجودة في السلطة الأبوية، وبذلك يكون الصبي هويته كرجل بالاستناد إلى صورة أبيه النفسية التي يراها منعكسة في سلوك الذكور البالغين المحيطين به. وهذا ما يجعل الفرد الذكر، في نظره، ينمو في مجتمعنا الجزائري قضيبيا، ينزع في شخصيته إلى حب البروز والسيطرة ويحتقر المرأة، ويميل إلى إذلال من هم أضعف منه. وتتجسد هذه الشخصية القضيبية المصنوعة من طرف المجتمع، في أشكال ونسب مختلفة من العدوانية والشراسة وتتميز باعتزازها بذاتها، ويجد صاحبها لذته في إبراز أناه والدفاع عن سمعته وفرض نفسه على الآخرين. وما يحدد هذا المعيار عوامل(هشام شرابي 1987، ص28) متعددة منها:

- الامتداد الأبوي للنسب؛
- التراتب الهرمي للعلاقات و طبقية المجتمع الذي تستندان إلى التقاليد الدينية؛
- مسؤولية الأب عن التنشئة الاجتماعية والتوجيه داخل الأسرة؛
- تشجيع الثقافة الأبوية على البناء الممتد للأسرة؛
- الصراع الذكوري على السلطة وإبعاد الأنثى؛
- تشجيع الشعور الأنثوي بالخضوع والتخصص بالمسؤولية المنزلية.

وما يمكن القول أن العائلة الجزائرية كأسرة ممتدة أبوية غير منقسمة وعصبية الوحدة القاعدية في المجتمع الجزائري الأبوي التقليدي والنموذج الذي على صورته، تنتظم كافة البنيات الاجتماعية الأخرى. ذلك هو الشأن مثلا بالنسبة لجماعة القرية التي تشكل هرما قمته شيخ الجماعة ووسطه قدامى الجماعة وقاعدته الأفراد الذكور القادرون على حمل السلاح، والتي هي صورة مكبرة عن الهرم الأسري الذي قمته الأب ووسطه الأبناء المتزوجون وقاعدته الأطفال والنساء.

يمثل الأب في هذه العائلة السلطة المادية والروحية. ونظرا للمكانة التي يحتلها داخل الجماعة الأسرية، فإنه هو الذي ينظم الاقتصاد المنزلي ويحرص على تماسك العائلة. لأجل ذلك فإنه يمارس سلطته بصرامة، فلا يترك لليونة إلا حيزا ضئيلا. فإذا حصل له يوما أن فشل في فرض

الانضباط، فإخترق أحد الأفراد أوامره، ولم يلتزم اتجاهه بالطاعة والخضوع، عد ذلك إهانه وسارع إلى الرد عليها بالعقاب الصارم حتى يعود الخارج على الطاعة إلى الامتثال. فإذا خانت السلطة الأبوية الوسائل المادية للعقاب، كان اللجوء إلى دعاء الشر، وهو سلاح مهاب، لأنه في نظر المجتمع يجلب على العاق أو المتمرد البلاء الخفي وسخط السماء: ألا أن غضب الله من غضب الوالدين، كما يقال **(**هشام شرابي 1987، ص28**).** وهكذا يمارس رب العائلة إذن كل الحقوق على زوجته وأولاده، وكل من يعيش تحت مسؤوليته: هو صاحب القرار بخصوص الزواج والطلاق والتبني والحرمان من النسب أو الميراث والبيع والشراء المتعلقين بالعقار والمنقول أرضا أو أنعاما أو غيرها. من حقه على زوجته كل شيء ضربا أو طردا أو طلاقا، وعلى أولاده أيضا ضربا أو طردا أو حرمانا، ولا معترض في ذلك على إرادته، لأن نظام العائلة في المجتمع الجزائري هو الذي يصوغه، حتى وإن كان التشاور حاليا مع المرأة إلا أنه في معظم القرارات هو الذي يكون فوق الأوامر.غير أن التطرف في العقاب لا يكون إلا أخيرا، حين تستنفذ الوسائل الأخرى من نصيحة وتوجيه وتهديد، والتي من شأنها الإجبار على الطاعة والخضوع والامتثال للسلطة الأبوية. هذه الصرامة، درجة التسلط، في ممارسة السلطة ليس لها من غاية سوى الحفاظ على تماسك العائلة وانسجامها كوحدة إنتاج واستهلاك وحماية.

يدل مفهوم النظام الأبوي في المجتمع الجزائري على شكل متميز من التنظيم الاقتصادي والاجتماعي ونمط التفكير والسلوك والعمل، انفردت به التشكيلة الاجتماعية السابقة للرأسمالية. وكما وجد تاريخيا بأشكال مختلفة في أوربا وآسيا، ووجد بشكل متميز في إفريقيا وفي الشرق والغرب العربيين."ذلك أن هذه الحضارات، مع تضمنها تاريخيا عوامل اجتماعية واقتصادية متماثلة، قد مرت بمراحل وتجارب تكوينية حددتها شروط نوعية من جغرافية ومناخية وديموغرافية". ولما كانت مقولة المجتمع الأبوي تشير إلى مجتمع تقليدي، في بناه الاقتصادية والاجتماعية وسابق للمجتمع الحديث، فالأبوية والتقليدية صفتان متطابقتان في مجتمعنا. إنهما تعبران عن كيان عام يتجاوز أسلوب الإنتاج، فيحيل على واقع تاريخي واجتماعي له قيمه وثقافته وأنماطه السلوكية وبنيته السيكولوجية.

والواقع أن بنية النظام الأبوي/التقليدي إذ يغلب عليها الطابع القبلي تتميز أساسا بالتنافر والصراع والانقسام إلى أزواج ينفي بعضها بعضا، ويتعصب بعضها ضد البعض الآخر. ولا يجد الفرد داخل هذا النظام من واجب يلتزم به إلا واجبه تجاه جماعته التي ينتمي إليها ويشعر أنه جزء لا يتجزأ منها، يفنى فيها فناء كليا، خصوصا إذا كان ثمة خطر خارجي يحاول النيل منها في كيانها المادي أو المعنوي، وإذا حصل داخل هذا النظام الأبوي صراع العائلات ضد بعضهم

البعض، فإنه يكاد لا يحصل داخل العائلة الواحدة. بل أنه كلما كان النسب قريبا كلما كانت النعرة ظاهرة والقيام بها سريعا. وبتعبير ابن خلدون"فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك يحدث الأمر كما لو أن المجتمع لا يتصور نوعا آخر من العلاقات غير تلك التي توجد بين الأقارب، ولا مبدأ موحدا لجماعة سياسية غير ذلك الذي يصنع تماسك المجتمع الأكثر أولية، أي العائلة"(مقدمة ابن خلدون).

المجتمع الجزائري التقليدي قائم بالرجال وقرار كل شيء يعود إليهم. أما المرأة فإنها عنصر ثانوي داخل الأسرة، التي تجد تمثيلها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في الأب وحده، بوصفه شخصيتها المعنوية. إن مكانة المرأة، وإن كانت هامة في الأسرة، فهي دونية، تتحسن أو تسوء تماشيا مع مراحل الأسرة الحياتية. لذلك فإن مكانة المرأة الحديثة العهد بالزواج تختلف عن مكانتها أما أو حماة. وبين النساء أنفسهن، فإن الاعتبار الأكبر يذهب إلى المرأة التي تجتمع فيها أكثر الصفات الإيجابية من نسب أصيل وشرف وحسب ودين ومال، بالإضافة إلى إبدائها كفاءاتها وقيمها وخصوصيتها الأنثوية.

إن أنماط المعيشة المختلفة في المجتمع الجزائري التقليدي تعتمد على توزيع الأدوار وتقيم فصلا صارما بين الجنسين، وفق نظام محدد للقيم يشكل عناصر المخيال الأبوي، بصورة لا يمكن معها للمرأة أن تكون لها إلاّ المكانة التي منحها إيّاها مجتمع الرجال. فالتمييز الجنسي، كما قال **مونيك غادان: "**ليس فصلا بين الذكور والإناث فحسب، بل هو معارضة وتراتبية بين عالمين مختلفين. إنه تمييز يتجلى في الأدوار وفي المجالات المقسمة بينهما بحيث لا يكون ثمة شيء يجب أن يدعو إلى الالتباس، وإلاّ فإن المرأة لا تكون امرأة والرجل لا يكون رجلا"(M. GADANT, 1981, P03).

واقع الحال، فإن التمييز بين دور المرأة التعبيري ودور الرجل الأداتي يطابقه تمييز بين عالمين يمارس فيه الجنسان أدوارهما. والمرأة لم تكن واقعة تحت الحماية وتابعة للرجل في هذا المجال وفي مجالات أخرى وذات وضعية دونية، إلاّ لعوزها الاقتصادي وحرمانها من مسؤوليات عمل الرجل فائق جهده للاستئثار بها، فهي مجردة من حقها في تحمّل مسؤوليات الجهاد والسعي وتأمين الرزق والنهوض بأعباء المجتمع رغم التشديد على المساواة خصوصا بين الأفراد الذين تجمعهم قرابة الدم.

وقد عززت هذه الثقافة طاعة الوالدين والخضوع لهما بتأكيدها على الصلة بين غضب الوالدين وغضب الله، إذ جعلت دعاء الشر صريحا أو ضمنيا عقابا نافذا، لا يفيد تراجع الوالدين

عنه في شيء، لأن نفاذه خارج عن إرادتهم. بمعنى أنه يكفي العقوق بهم وتأثرهم له حتى يجلب ذلك على العاق سخط السماء. لهذا السبب، فإن مجرد إحساس الأبناء أنهم أغضبوا والديهم يجعلهم يخشون العقاب الغيبي المجهول الذي ينتظر أن يمسهم في ذواتهم أو في أموالهم، الأمر الذي يجعلهم دائما يجتهدون في إرضائهم ويتبعون "الأف" أو "النهر" عند حصولهما بالقول الكريم طلبا للعفو والغفران. ولا شك أن السلطة الأبوية، في ظروف موضوعية ونفسية كهذه، غالبا ما تمارس بارتياح وبدون قيود غير تلك التي تلزم بها الأعراف والتقاليد التي يجسمها سلوك الأب، فلا ينبغي أن يكون بمحتوي يفوق حجمها. ومن هنا التأديب بالضرب والتوبيخ بالشتم والسبّ، ومن هنا الأوامر الواجبة التنفيذ بلا تأجيل والنواهي التي لا يجوز معها الجدل والتي تحمل معارضتها في طياتها العقاب.

توجب الثقافة الأبوية على المرأة خشية زوجها والامـتـثال لإرادته تماما مثلما أوجبت من قبل خشيتها لأبيها والخضوع لسلطته، بالعفة التي لا يكون إلاّ بها النسب الشريف والخلف الطاهر.

وليس معنى هذا أن العنف الرمزي في المجتمع الجزائري لا يمارسه إلاّ الرجال على النساء ولا أن كل النساء محل للعنف، بل غالبا ما يجد العنف نفسه رمزا في سلوك النساء، فيكون أن ينتج ويعاد، خصوصا إذا وجد في إحداهن من لها مصلحة تحققها من خلال الحرص على احترام القيم المنتجة للعنف والترويج للثقافة الأبوية التي تسنه وسيلة للحفاظ على النظام القائم.

*** خاتمة**

العنف الرمزي هو نوع من التصرفات والأقوال والأفعال والحركات والكتابات، التي من شأنها أن تـلحق الأذى بالاتزان النفسي أو الجسدي لشخص ما، وأن تعرض عمله وحياته للخطر. فهو يحمل معاني وألفاظ ولغة وصمت، كلها دلالات من شانها أن تنقص من قيمة الأخر، فلغة العنف الرمزي وألفاظه يحمل كناية ودلالة تعبر عما يقصده الطرف المعتدي على الضحية ويفهم بينهما فهما واضحا، كما تشير المعاني والإشارات والإيماءات إلى ذلك القصد، تلك الألفاظ والمعاني المتبادلة يمكن أن نقول عنها قاموسا شعبيا جزائريا.

يتدفق العنف الرمزي بفعالياته الرمزية على مدى سنوات طويلة ومتعاقبة فهو عملية مستمرة تتم عبر وسائل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتلقين المعرفة، كما نجد تجلياته في التراث الشعبي من أغان فولكلورية وأمثال وحكايات ترويها النساء لأطفالهن، وفي الأدب والتلفزيون وذلك بالمتابعة اليومية لما يبث من خلاله من برامج وأخبار ومشاهدات مرغوب فيها وأخرى غير مرغوب فيه.

قائمة المراجع:

1- بيار بورديو وجان كلود باسرون، **إعادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم**، ترجمة ماهر تريمش، الطبعة 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.

2 - مصطفى الحجازي، **التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور**، الطبعة 9، المركز الثقافي العربي للنشر. المغرب، 2005.

3- عبد المالك أشهبون/ مجلة فكر ونقد-

4- إسماعيل حلمي إجلال، مرجع سبق ذكره.

5- سعد جلال، **علم النفس الاجتماعي، الاتجاهات التطبيقية المعاصرة**، الإسكندرية، 1984.

6 Pierre Bourdieu**; Réponses Pour une anthropologie réflexive**, Seuil**,** Paris, 1992, p.123

7 - فتيحة أحمد بورونة، **الهجالة**، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009.

8- أسماء جميل رشيد، **العنف القائم على النوع الاجتماعي، قراءة في مفهوم العنف الرمزي**، مجلة المدى، العدد الرابع، العراق، 2012.

9-Miller, Hemenway,& Wecher, H**; Guns at collège, of American Collège Heath**, USA,1999.

10- إبراهيم الحيدري، **النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب**، دار الساقي، بيروت، 2003.

11- أريج زهران البدراوي، **الاتجاهات المختلفة لنظرية النسوية**، باحثة في علم اجتماع المرأة بجامعة القاهرة، محاضرة ملقاة بجامعة لونيسي علي، البليدة، نوفمبر2014، الجزائر.

12- المختار الهراس وإدريس بن سعيد، **الثقافة والخصوبة**، دراسة في السلوك الإنجابي بالمغرب، دار الطليعة، بيروت، 1996.

13- فاطمة المرنيسي، **الجنس كهندسة اجتماعية بين النص والواقع**، ترجمة: فاطمة الزهراء أزر ويل، الطبعة الثانية، نشر الفنك، دون بلد، 1996.

14- هشام شرابي، **البنية البطركية**، بحث في المجتمع العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، 1987.

15- مقدمة ابن خلدون.

16- M. GADANT**, "Les jeunes femmes, la femme et la nationalité algérienne"**, In Peuples méditerranéens, N° 15, Avril-Mai, 1981.